سيميائية الأخطاء في اللّغة العربيّة

بين المرئي والمسموع

خديجة شهاب [1]

اللغة إذا وقعت على أكبادنا كانت لنا بردًا على الأكباد

الشاعر حليم دموس [2]

شَغَلت العربية أهلها، أُفتِنوا بها وعشقوها، وهبتهم روحها فمنحوها رعايتهم واهتمامهم. اعتنوا بها، فشذّبوها من كل ما هو حوشي ومقعر، زينوها بالبلاغة مضافًا إليها الخبر والإنشاء، ضبطوا حروفها، صاغوا نحوها، ألبسوها أجمل حُلَلِها وأجلّها، فأخرجوها للناس خيرَ لغة.

ولا ينسى المرء في هذا السياق، فضل الإسلام على اللغة العربية، إذ أضاف إليها الكثيرَ من المفردات والتعابير، وقد سلك بها مع الحديث النبويّ الشريف "في البلاغة مذاهب ينقطع بها كلُ بليغ"[3]. بعد ذلك كان فتح الممالك والأمصار كبلاد فارس والرّوم، ما زاد عليها الكثير من المعاني العلمية أو المدنية، وفي كل العلوم من فلسفة وسياسة إلى إدارة وفقه وأصول، فجغرافيا، وعلم الهيئة والسيرة ... وهكذا يُلاحظ الباحث أنّ الإسلام خطا باللغة العربية خطوات مهمة وكبيرة في تعزيز موقعها ومكانتها.

إن الوضع المختلف للعرب بين الأمس واليوم؛ يدفع البحث إلى اختيار المنهج السيميائي الذي "يدرس الأنظمة الرّمزيّة في كلّ الإشارات (العلامات) الدالة"[4]، تلك العلامات التي "تستمد تعددها من الإيحاءات"[5]، فتبرز كأشياء مادّية لها مدلولاتها الذّهنية المرتبطة بها، و"تنقسم إلى دوال ومداليل وعلاقات تربطها معًا"[6]، ولعله من المهم توكيد "حقيقة مفادها أنّ السّيمولوجيا لا تبحث عن الحقيقة، بقدر ما تركز جهدها على عمليات الدال"[7] وهي إذ تبحث في العلامات وطرق انتاجها، تبحث في الأنظمة الدلالية.

يسعى البحث إذًا، إلى تقديم قراءة سيميائية لنماذج مختارة من أخطاء اللغة العربيّة في وسائل الاعلام المرئي والمسموع. كذلك يهدف إلى تسليط الضوء على دور أبناء اللغة العربية في تغليب المفردات الأجنبية على كلامهم، وكأنهم لا يشعرون بتحضرهم إلا من خلال ذلك. فهل الحضارة في مجملها تتوقف على الكمية التي يتقنها الناس من المفردات باللغة الأجنبية، ومن ثم التخاطب بها في ما بينهم للتباهي أمام المجتمعات؟ علمًا أن هذا الأمر لا يعني أنّ تعلم اللغات الأجنبيّة الأخرى غير مهم، لكن الأمر يعني ألا يأتي هذا التعلم والإتقان على حساب اللغة الأم. وهل سيأتي اليوم الذي يشعر فيه العربي بتفوق اللغة العربية على غيرها من اللغات،

فيقتنع بضرورة إعطائها الأولوية، ومن ثم يساهم في إعادتها إلى مجدها، وعدم التّغني باللّغات الأجنبية الأخرى، ونحن نعرف أنّها لغة حيّة طيعة، تأخذ من كلّ اللّغات، وتعطي لكل اللّغات؟

يشار هنا إلى أنّه حين يرغب الباحث في دراسة مجموعات سيميائيّة لها عمق اجتماعيّ حقيقي، يفترض أن "تلتقي اللغة بالسّلوك [وردود] الفعل البشريّة"[8]، كالاستغراب، والاستهجان، والاستعلاء، والرفض، والثورة، بشكل انفعالي كبير يصل إلى حدّ التخلي عن اللغة الأم في الكثير من المدارس اللبنانية، وحتى في بعض المجتمعات الأرستقراطية، إذ يعتقد البعض أنّ كلّ كلمة تأتي بدلالة القوّة للشخصية، ولا تكون مستقلة عن السّياق الّذي يتخاطب به أبناء المجتمع.

في هذا البحث **يدرس العنوان الأول:** دور الإعلام المرئي والمسموع في استفحال الأخطاء الشّائعة، ويبين ضعف اللغة عند الإعلاميين، إذ إنّهم يتخرّجون من الجامعات وهم يولون الأهميّة للغة الأجنبيّة، وينسون معظم مفردات لغتهم الأم، ولا يتقنون مواقع الكلمات من الإعراب، أضف إلى أنّ القيمين على تلك الوسائل لا يعنيهم أن يقدموا صحافيًّا مثقفًا يتقن لغته، بقدر ما يهمهم الرّبح الوّفير.

ويدرس العنوان الثاني: دور المجتمع والمدارس والمعلمين الذين يبدأون درسهم بالتّهليل أنّ اللغة العربيّة، صعبة ولا يمكن فهمها بسهولة، فيضعون مسبقًا حاجزًا بين المتعلمين وبين لغتهم، بالإضافة إلى الطبقة السياسية إذ يصعب على السياسيين أن ينطقوا بالكثير من المفردات بشكلها السّليم، وغيرهم من الوسائل التي تساهم في تدني مستوى اللّغة العربيّة كالصّحافة المكتوبة، أو وسائل التّواصل الاجتماعي التي تساهم بيسر وسهولة في انتشار الأخطاء على المستوى الكتابي.

وعلى الرّغم من كل ما تعرضت له الأمّة العربيّة من انتكاسات، وصدمات، إلا أن ذلك لم يثنِ العرب عن متابعة طريقهم في المحافظة على لغتهم؛ ورَفْدِها بكل ما هو جديد في كل حقبة زمنيّة، فكتبوا بها في مرحلة متقدمة شتى علومهم من علم القيافة والأثر، إلى علم الحديث والأنساب، ومن ثم علم الجبر والهندسة، فالكيمياء والطب والفلك، وعلم المثلثات، والحِيل النّافعة أو (الميكانيكا)، كما أنّهم ابتكروا المنهج العلمي في أبحاثهم وكتاباتهم، وكلّ ذلك كان باللغة العربية، وقد كانت طيّعة لهم.

يجد الباحث في اللغة العربية أسماء وأسماء لمواد علميّة وأدبيّة وتربويّة واجتماعيّة وثقافية.... مما لا حصر لها، ولا يسعى البحث إلى ذكرها هنا، لأنّها ليست محوره، لكن يبدو من المفيد التذكير بأنّ للغة العربية فضلًا من "جهة اعتدال كلماتها، "إذ إنّ أكثر ألفاظها قد وُضع على ثلاثة أحرف"[9]، زد على ذلك، مفرداتها الفصيحة "فليس في كلماتها الجارية في الاستعمال ما يثقل على اللسان أو ينبو على السمع"[10]، وهي جارية في الاستعمال مرنة، واسعة، شاملة، غزيرة، متسعة في مذاهب بيانها، تتساق مع علمائها في

التّعبير عن حاجات أبنائها في علومهم كافة.

1- دور الإعلام المرئي والمسموع

أُطلق المؤرخون تسمية عصر الأنوار على البلاد العربية بين القرن السادس والسابع الميلادي، إذ كانت النهضة العربية الكبرى، وفي مختلف العلوم والفنون، وحيث كانت تنعدم الأميّة عند العرب، ذلك أنّ تعلّم القرآن وكتابته أمر مفروض على المسلمين، وكان الأوروبيون في هذه الحقبة يغرقون في عتمتهم الثقافية، وتبين أنّ نسبة الأمية عندهم مرتفعة أكثر منها عند العرب.

إلى أن انقلبتِ الموازين ودخل العرب عصر الانحطاط، وقد برزت في هذه المرحلة سياسة الانفتاح على الغرب، والتي لم تكن سياسية أو اقتصادية فحسب، بل ثقافية أيضًا، ما أدى إلى تغيرات هائلة على المستوى الاجتماعي، و"زاد من ارتباط العالم العربي بالغرب، وبدأ تأثير ذلك كلّه في نظرة العرب إلى ثقافتهم"[11]، فطفا على السطح الجيل الذي يحبّ اللغة الإنكليزية، ما يضع الباحث أمام مجموعة من العلامات الدالة من خلال تمسكه باللغة الأجنبية، وكل ما هو على صلة بهذه الثقافة، فيعثر مع معظم هذا الجيل إلى "جانب العلامات الدّالة، على أنواع من العلامات الأخرى التي يمكن أن يصفها البحث بأنّها علامات مضلّلة، يندرج تحتها هذا السؤال الذي يدلّ إلى وجود علامة ضمنيّة أخرى وهي: "ضياع اللغة"، وهي "واهية الدلالة، يمكن أن تحمل علامات أخرى غائمة"[12]، ومنها عدم التزام معظم هذا الجيل بلغته سليمة، فراح يحاكي مظاهر الحياة الأجنبية، إن من حيث المأكل أو المشرب أو الملبس، وصار همّه مواكبة التطورات المقبلة كلها، وبات يعتقد أنّها الحياة الأفضل والأمثل، ويتباهى بما يفعله.

أضف إلى ذلك، ارتباط سوق العمل ارتباطًا وثيقًا باللغة الإنكليزية، فتحيل هذه الإشارة إلى علامات دالة أخرى، تحمل مضامينها، وتبين أن الارتباط بالخارج ساهم في توجه الأهل والأبناء نحو لغة أجنبية تؤمّن لهم المستقبل الثقافي وربما الاقتصادي، ما زاد في تعلقهم بها، فراحوا يلهثون خلف الجامعات والمعاهد الأجنبية كي يحصّلوا علومهم باللغة الرّاقية على حدّ اعتقادهم وتعبيرهم، وقد تعامت هذه الأجيال عن كلّ ما كان للغة العربية من ماضٍ مشرق.

وما زاد الأمر تعقيدًا السياسات الاقتصادية المتبعة في بعض البلدان العربية، حيث يهاجر الشباب في سبيل تحصيل لقمة العيش بشكل أفضل وأوسع، الأمر الذي ساعد في الغلو في الركض خلف الثقافة الغربية، ونفرت هذه الأجيال "من ثقافتها الخاصة، وما تتميز به من قيم وأعراف"[13]، وتنامى استخدام اللغة الأجنبية في المؤسسات العامة والخاصة على حدّ سواء، وفي وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وفي البنوك والشركات الكبرى.

وهكذا ارتمى الإنسان العربي بملء إرادته في أحضان الثقافة الغربيّة، وهي

تعيش حلم اليقظة، حيث يُحيل إلى علامة زمكانية، فالمكان هو أحضان الخارج الذي يدّل على ركض العالم العربي بأسره، خلف تحصيل الحقوق العلمية، "والزّمان هو المستقبل حيث الوعد بتحقيق الأهداف، التي تُحيل بدورها على دلالة أنّها تتأرجح ما بين الفشل والتحقق"[14].

أدى كل هذا إلى ضعف الشعور بالانتماء إلى اللغة العربية، وضعف الثقة بها، وبالتالي تَزَعْزُع الانتماء إلى الأوطان العربية، وإلى الهوية العربية، ولم تعد معها اللغةُ العربيةُ "جزءًا لا يتجزأ من السيادة والحفاظ على اللغة هو حماية لهذه السيادة"[15]، الأمر الذي يشير إلى أنّ اللغة تعاني مشكلة كبيرة، ألا وهي المحافظة على خصوصيتها، وضمان استمرارها وألقها، وتميزها بتفوقها اللغوي، وفي أن تبقى لغة الحكّام والتجّار، والإدارة، والدّين والأدب والشعر والنقد.

في المرحلة الراهنة تتفاقم الأخطار حول اللغة العربية بحسبانها " وعاء للثقافة العربية، والحضارة الإسلامية، وهي أخطارٌ [متأتية] من هيمنة النظام العالمي الذي يرفض صياغة عالم جديد متعدد الأقطاب والمراكز والثقافات"[16]، وهو يسعى إلى فرض اللغة الأقوى وذلك بحكم الهيمنة الساسية، والسيطرة العلمية والتِّقَنِيّة والاقتصادية، ما يفرض على شعوب المنطقة العربية التعامل بفطنة وذكاء مع هذه الأخطار، بما قد يرفدها ويدّعم خطواتها في المحافظة على لغتها رمز هويتها وبقائها.

في ظل الهجمة الشرسة على اللغة العربية، كلّنا مسؤول عن تراجع دورها في المؤسسات والمدارس، ولكل دورُه في تشويه الحقائق، والمساهمة مع الغزو الثقافي في "قلب المفاهيم بما يخدم مشروع الهيمنة، فالمناضل يصبح إرهابيًّا، والمقاوم هو المخرب؛ والخانع الذليل هو المعتدل، للأسف هذ المصطلحات تتغلغل في لغتنا العربية وخاصة في لغة الإعلام والإعلان"[17]. وهنا يحضرني رأي ابن حزم الذي يربط بين سقوط اللغة، وسقوط الدولة السياسي والعسكري، ويرى أنّ ما يُقيد لغة الأمّة وعلومها وأخبارها هو قوّة دولتها، ولعله محقّ في حكمه؛ فالأمة "التي تقع تحت سلطان من لا ينطق بلسانها... إنّ لغتَها تصير إلى انحطاط وضياع"[18]، ما يؤكد أنّ المجتمع هو الذي يطور اللغة، ويعمل بالتالي على تجديدها ومنحها الروح، وهو الذي يأخذ حياتها، ويمكنه أن يعيدها إليها.

لا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، فالأخطاء اللغوية والنّحوية التي يعثر عليها القارئ في بعض المجلات والجرائد، أو التي يسمعها المرء يوميًا في نشرات الأخبار ومن المحطات الإذاعية، فهي أكثر من أن تُحصى، حتى أنّ الكثير من الإعلاميين يخلطون بين الحروف ومخارجها فيتساوى عندهم حرف (س= ث/ د= ض/ ق = ك/ ذ= ز) إلى آخر القائمة.

كما يكثر استخدامهم لكلمات (هكذا تصرفات، أو هكذا قرار)، والصحيح (تصرفات كهذه، أو قرار كهذا)، أو (أهدى

رئيس التحرير المحرر هدية) والصحيح (أهدى رئيس التحرير إلى المحرر هدية) لأن الفعل أهدى يتعدى بحرف الجر؛ أمّا إذا تعدى مباشرة، فإنّ المعنى يتغير ليصبح بمعنى الهداية مقابل الضلال. ومنها أيضًا (الأمر ملفت للغاية) أمّا الصواب منه فهو (الأمر لافت للغاية) على وزن اسم الفاعل. وقس على ذلك الكثير.

ما تقدّم يحيل البحث على إشارة دالة على عمق الهوة بين اللغة العربية اليوم وبين أبنائها وفي مستويات مختلفة، ما يحيل بدوره على إشارات أخرى ضمنية توجب دقّ ناقوس الخطر، والاستدارة نحو لغتنا لتبقى لنا هويتنا وقوميتنا.

ويتأكد للمتمكن من اللغة العربية أنّ هذه الأخطاء وغيرَها تُبعِد الجمال من اللغة العربية، وتُنفّر السامع وتبعده من المحاولة في التفكير يومًا من التكلم بها؛ كما أنّ بعض مفرداتها يصبح عصيًّا على الفهم؛ ومعها يحتاج القارئ إلى ترجمان أو محلل لغوي أو نَحَوِيّ حتى يستطيعَ أن يلتقطَ ما أراد المرء قولَه، في هذا السياق يكثر الجيل (هو) من الأخطاء فيتمتع بمدلول في حالة المرجعيّة الضمنيّة التكوينية، ومثال على ذلك (هو) تدل على شيء غير تعليمي، وهذا ما يجعل منه علامة على التراجع الدائم في امتلاك اللغة العربية.

وما ورد أعلاه ليس إلا القليل من كثير في عالم الإعلام، ذلك أنّ العديد من الإعلاميين ينصب فاعلًا، ويجرّ مفعولًا به، ويعود السبب في ذلك "إلى الضعف العام الذي يعاني منه الجيل الجديد"[19]، من المذيعين والمذيعات، والمحطة لا تكلّف نفسها الاستعانة بمدقق لُغَوي، أو بتدريب طاقمها الإعلامي على التمرس باللغة العربية، ومن ثم إخضاعه لدورات تقوية، تمكّنه من لغته وتبعده من اللحن والخطأ، والشواهد على ذلك كثيرة والقائمة تطول.

أضف إلى ما تقدّم الحديث به، ما تعرضه المحطات التلفزيونية من مسلسلات مترجمة من الهندية أو الفارسية أو المكسيكية أو التركية، كأن يَرِد في شريط الترجمة، (**أنتي فتات جميلة؛ وعليك أن ترتدين ثياب فاخرتن، ولكي وحدكي أوجه كلامي**) وهنا يبدو الخلط واضحًا بين كاف المخاطبة التي يجب أن تُحرك بالكسر وبين ياء المتكلم التي تعود إليّ، كما كُتِبت التاء المربوطة تاء مبسوطة، ولم يُنصب الفعل المضارع، ولم يُوضع التنوين على ألف، ومع هذا النوع من الأخطاء حدث ولا حرج.

في المستوى البصري وضعْنا يدَنا في هذه العبارة على كم هائل من الأخطاء الإملائية والنحوية؛ ونحن نعرف أن عين المُشَاهِد قد التقطت هذه الأخطاء، فاعتمدها لاحقًا في كتابته، وقد حسب العبارة صحيحة سليمة خالية من أي عيوب لأن المحطة مصدر ثقة، وقد وردت في شريط الترجمة الصادر عن وسيلة إعلامية محترمة، تحترم نفسها ومشاهديها، وهي حسب ظنه لا يمكن أن تخطئ، متناسيًا أنّه أمام سطوة المال والمحافظة على الريوع الربحية تسقط اللغة في مهاوي الجهل والإهمال واللامبالاة.

2- دور المجتمع والمدارس

يسمع المرء من بعض المسؤولين في المدارس استخدام بعض التعابير الخاطئة كأن يعلنوا مثلًا - أنّه على الطلاب **التواجد** في المكان المحدد - وهذا التعبير خاطئ لأن كلمة تواجد تعني (الوجد) أي الحبّ الشّديد. وممّا زاد في الطّين بلّة ما يسمّى اليوم بلغة "النت" وعصر العولمة الذي شقّ طريقه إلى البيوت والجامعات والمدارس وتبين أنّ المعلوماتية "لا ترحم ولا تشفق، ومن لم يحصّن نفسه بالعلم والمعرفة والنتاج الفكري والأدبي فإنّه سيذوب لا محال في الآخر"[20].

ولأننا كأمّة عربية تقف عاجزة أمام علامات الضعف في البحث العلمي والإنتاج المعرفي، ولأنّ السّياسات الحكوميّة الثّقافية غائبة عن السّاحة التّربويّة، أضف إلى ذلك سيطرة اللّغة الأجنبيّة على المناهج، وقع المرء في المحظور، ما يحتّم إزاء هذا الأمر أن تعلن الحكومات دوالها في السياسة الثقافية، فتأخذ دورها في التشجيع على المطالعة باللغة العربية، وتحفيز المدارس على تدريس العلوم في المراحل الثانوية باللغة العربية، وتعيد النظر بالمناهج، ليحيل كل ذلك على علامات التقدم والتطور في المستوى اللغوي.

وفي هذا السياق على الأهل ألا ينسوا دورهم في البيت الذي لا يقلّ أهمية عن دور المدرسة والمجتمع، إذ على "أولياء الأمر أن يبينوا لأولادهم أهميّة اللغة العربية ودورها في بناء شخصيتهم الثقافية وأثرها في مستقبلهم العلمي"[21]، كونها مرآة تعكس انتماءهم إلى عروبتهم وقوميتهم، ولا شيء يضاهيها في ذلك.

ويمكن هنا أن يُسجل على أبنائنا بروز ظاهرة خجل معظمهم، من التّخاطب بلغتهم الأم "لأنّها أقل تطورًا وليست لغة حضارة"، وهي "جامدة لا تستطيعُ أن تستوعبَ في طياتها المفرداتِ القادمةَ من الغرب"، وراح يخلط هذا الجيل اللغة العربية بالكثير من المفردات الأجنبية وعلى سبيل المثال: "بونجور، صباح الخير/ آي ونت تو درنغ، أريد أن أشرب/ آي لوف يو يا غالية"... وغيرها الكثير من مصطلحات خطابهم اليومي، وقد تخاطب بها الطلاب معنا كأساتذة لهم، ومع زملائهم وما أنقله هنا هو عينة حيّة مارسها العديد من الطلاب معي خلال سنوات الدراسة.

أمام تفاقم هذا الوضع، أخذ الإعراب يصعب ويثقل على أبناء العربية، وقد فسدت طبائع الناس، وفشا الخطأ، وتحوّل المجتمع العربي إلى مجتمع مضخّم بلغات شتى؛ خصوصًا في الحواضر، ذلك إنّ عدم اهتمام الأبناء بلغتهم يمكن إحالته على المدلول لم "يتمكنوا" كردّ فعل، فتظهر العملية الأولى برمتها وهي تتكون من عمل مركب للعقل (يصعب)، في حين أن الثانية (فشا) تتوفر فيها كلّ مظاهر الفعل الذي ينعكس على الأبناء. من هنا يرى الباحث أنّ هناك فرقًا بين السبب والنتيجة، وبين المدلول الذي يحيل عليه الدّال، وأنّ العلامة كيان بوجهين؛ ووصل الأمر إلى أنّ بعض العرب أخذ يُنكر الإعراب، ويدعو إلى تخفيفه وتسهيله حتى في المناهج الدّراسية.



لغة "النت" شوّهت الحروف العربيّة تشويهًا كاملًا

علمًا أنّ اللغة العربية ليست اللغة الوحيدة التي تنهض على قواعد وضوابط، وعلى الرّغم من ذلك، لم يُسمع من أبناء اللغات الأخرى من يطالب بما يطالب به أبناء العرب.

ومع الإلحاح الدائم والأصوات المرتفعة الدّاعية، يبرز المثير إلى الكلمة ومدلولها في إعادة النظر في تخفيف القواعد، فوقع المحظور، وعملت المؤسسات الرّسمية على تعديل المناهج التربوية، حيث صار التعديل علامة قوية دالة على تأثير المطالب، والدفع باتجاه التغيير بما يتناسب والمطلوب على الساحة المحلية والعربية، فأصبحت تُبَسط دروس القواعد إلى أدنى الحدود، وتُدرّس العلوم كلّها (الفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلسفة...) باللغة الأجنبية، ولم يعد للغة العربية في المناهج إلا حصة في معظم فروع التدريس في المرحلة الثانوية، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض المتعلمين يتأفف منها، ويعبر عن رغبته عن عدم الحاجة إليها..

وهنا يبرز إلى العلن دور لغة "النت" حيث شُوهت الحروف العربيّة تشويهًا كاملًا، وما كان مرفوضًا من دعوات إلى جعل اللّهجة العاميّة هي اللّهجة المتداولة، أو تلك التي أرادت أن تسوّق لاستخدام السّريانية وقُوبلت بالرفض في خمسينيات القرن، أصبحت أمرًا واقعًا اليوم، وذلك بسبب أبنائنا الذين فضّلوا هذه اللغة على لغتهم، إذ أخذوا في محادثاتهم اليومية على مواقع التواصل الاجتماعي أو من خلال التطبيقات على الهواتف الذكية (الواتس أب، الماسنجر، الفيسبوك، تويتر... وغيرها) يكتبون الأرقام بدلًا من الحروف، وتحويلها بالكامل إلى جمل وعبارات تحتاج إلى متخصصين لفك شيفراتها، وهم في ذلك "لا يشوهون اللغة العربية الفصحى بل يشوهون اللغة العامية أيضًا"[22]، ومن أمثلتها الحية في لغة التخاطب اليومي بينهم: (تعا لعندي حتّى نحكي مع بعضنا ونغيّر الخبر/ ta3a la3ndi 7atta ne7ki ma3 ba3edna w n8ayyer el5abar).

من هنا نرى أن المتحدث بلغة "التشات" قد استبدل الحروف العربيّة بالحروف اللاتينيّة والأرقام، فرمز إلى حرف (العين بالرقم 3، والحاء بالرقم 7، والغين بالرقم 8، والخاء بالرقم 5). أو 2na ou7ibouka ya a5i) الكلام بالعربيّة هو (أنا أحبّك يا أخي). وهكذا...

أجد في المستوى الشخصي صعوبة في فهم هذه الكتابة، وأشعر بحرج كبير، إذا ما أردت أن أجاري طلابي في التداول بها، وحاولت لغير مرّة إقناعهم أنه علينا أن نترك التخاطب بها لأنها لا تمت إلينا بصلة. أضف إلى أنّنا ندرس اختصاص اللغة العربية، ما يعني أنّ الخوض فيها "هو خوض في العالم ، لأنّ من يمتلك ناصية اللغة، يصبح قادرًا على أن يصنع شكلًا أو أكثر من أشكال لا تُحصى لهذا العالم"(23)، أي أن نكون بالتالي شركاء في تقديم إنجازات للحضارة العالمية، ما يفرض علينا أن نؤمن بدورها في مدّ جسور التواصل بيننا، ومن ثم إظهار العلامات الدالة على سهولتها التي تحيل بالتالي على التمرس باستخدام اللغة العربية الفصحى على الأقل في المدارس والثانويات، فيحيل ذلك على دوال أنها ليست صعبة كما يحاول البعض أن يدّعي، زد على ذلك أنّ هناك الكثير من العبارات والمفردات التي لا تحتاج إلى حروف كثيرة، أو إلى جهد كبير على مستوى الكتابة، لنعبّر بها عن حاجاتنا كما الأمر في اللغات الأخرى؛ وفي القياس نجد فرقًا شاسعًا بين كلمة في اللغة العربية وأخرى في اللغة الأجنبية، فكلمة (My– Darling ماي دارلينغ) في الإنكليزية والمؤلفة من عشرة حروف يقابلها في العربية (حبيبي) وهي مؤلفة من خمسة حروف؛ وعبارة (صباح الخير) في العربية والمؤلفة من تسعة أحرف يقابلها في الإنكليزية (Good morning) وهي مؤلفة من أحد عشر حرفًا وهي بالتالي أطول من حيث عدد الحروف وأثقل في الكتابة واللفظ. أوَنقول بعد إنّ اللغة العربية أكثر صعوبة من غيرها من اللغات؟

ولا بدّ في هذا السياق من الإشارة إلى أنّه يتم تحويل الكثير من المفردات من اللغة العربية الفصحى إلى اللهجات العامية؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر استبدال (**أسعد الله مساءكم بـ يسعد مساكن/ فيك تدهن لي مرهن على الحرْق/ وأعطونا رأيكون بطبختنا**) وقد يكون الخطأ هنا سمعيًّا، فيأتي التبرير الجاهز وهو أنني استخدم اللهجة العامّية ما يساهم في ترسيخ هذه المفردات في أذهان الناشئة والجيل الصاعد.

في هذا السياق يتأكد للناس ما السلطة التي يمارسها الإعلام اليوم والمكانة التي يحتلها، وتأثيره في الرأي العام. وهنا يعرف الجميع أن اللغة تعاني الكثير من المشاكل، كما تعاني من التهميش والازدراء وعلى يد أهلها وللأسف الشديد.

لكن وعلى الرّغم من كلّ ما تقدّم، لا بدّ أن نضع بين أيدي الناس الكثير من الحقائق اللغوية التي تؤكد أنّ اللغة العربية أقرضت "سواها من لغات الإنسان أكثر من اقتراضها منها"(24)... وهنا يظهر فضلها

جليًا وقد استطاعت أن تقرض اللغات الأخرى شيئًا كثيرًا "لم يحصه حتى اليوم الراسخون في علم اللغات"(25).

وما تقدّم الحديث به يؤكده ما جاء على لسان اللغوي الألماني "يوهان فك" (Johann Wilhelm Fück/ 1894 – 1974) إذ إنّه مع الأيام برهن أن "التراث العربي التالد الخالد على أنّه أقوى من كلّ محاولة يُقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر"(26)، وهذه شهادة تفتخر العربية بها، وتضع الناطقين بها أمام أمل جديد من أنّ اللغة العربية ستعود إلى عهدها القديم وألقها العتيد.

إذًا تعاني اللغة العربية اليوم ضغوطات كبيرة على المستويين المحلي والعالمي، وهنا أخذت الأجيال تعاني جراء هذا الموضوع الأمرّين، وقد يرى المرء اللّغة وهي تمرّ بأوضاع وظروف شتّى، وتعاني كما يعاني النّاطقون بها، ذلك أنّها لم تكن منعزلة عن التّطورات التي أصابت المجتمع، "وكان على العرب أن يواجهوا هذه القوة الطّاغية للحضارة الغربيّة"(27)، فخاضت صولات وجولات، استطاعت معها في كلّ مرحلة أن تقاوم الوهن والضّعف لتعود أقوى، وأكثر قدرة على المواجهة والتّحدّي، ذلك أنّ أهلها يثقون بها وبقدرتها على المواكبة والتّحدّي، وحتى تنمو اللغة العربيّة أكثر فأكثر تحتاج إلى نهضة علميّة وفنيّة وثقافيّة شاملة لتكون في مستوى البلدان المتقدّمة في العالم، ولتعيدها إلى سابق مجدها.

- **خاتمة البحث:**

لا يغيب عن بال أحد أنّ اللغة العربية هي لغة الشعر الجاهلي، كما هي لغة الأباء والجدود، ولغة القرآن الكريم الذي حفظها من الاندثار، وهي التي غذّت علوم الأمم وقد اعتمدت عليها في نهضتها الفكريّة والعلميّة.

وما النّهضة التي علينا أن نبدأ بها الآن وفورًا إلا خطةٌ متكاملةٌ ما بين أبنائها والناطقين بها، والمؤسسات الرّسمية وتأتي في كل الميادين وعلى الشكل الآتي:

- يجب القضاء على التخلف العربي في الحقل العلمي، ودعم الأبحاث العلمية، والإنتاجات الفكرية، بغية استعادة الأمجاد العربيّة في هذا المضمار؛ ولا ننسى في هذا السياق ما الأثر الذي تتركه الوحدة العربيّة على المستويين السياسي والثّقافي، على شدّ أزر اللغة وصمودها في وجه اللغة الدّاهمة.
- يجب تضييق الهوة بين الفصحى والعامية، وهذا الأمر ليس مستحيلًا لأنّ عاميتنا فيها ما نسبته سبعون بالمئة من اللغة الفصحى.
- "ضرورة التّمسك بالتعريب الذي هو حياة اللغة العربية"(28) لإعادة ضخ النّفس في روحها.
- إعادة هيكلة البرامج التعليمية وباللغة العربيّة في المدارس والثّانويات والجامعات في الدّول العربية، وهي تجربة ناجحة والمثال حاضر أمامنا في القطر العربي السوري، ولا يعاني أبناؤه مشاكل تذكر في سوق العمل أو في التّواصل مع الدّول الأخرى ومن اللغات المختلفة (الإنكليزية

علـى الأقـل). فاللغـة العربيـة "صــالحة للتّدريس الجامعي، ولكـن بـطء التّعريب عرقله"(29).

– تـدريب المـذيعين علـى اللغـة العربيـة الفصحى، وتوسيع معجمهم اللغوي بإتقان المفردات المتنوعة التي ستكون ساعدًا لهم في عملهم، فلا تقف عند أهل السياسة، بل تتعداها إلى أهل العلم والتّربية.

– توسيـع التّبـادل الثّقـافي والعلمـي بـين البلدان العربية والبلدان الأخرى.

– تقوية الدّعاية للغة العربية وأجهزتها من أجـل نشـرها، وهنـا يـأتي دور الإعـلام والإعـلان باسـتخدام اللغـة العربيـة فـي إعلاناتــه، وبرامجــه السياسـية والثّقافيــة والاجتماعيّة كلها.

– فتح مراكز ثقافيّة ومعاهد لتعليم العربيّة لغير النـاطقين بهـا، ولا سيما فـي الأقطـار الإسلاميّة غير العربيّة.

– تأسيس صندوق خاص للدعم والدّعاية.

– إجراء المسـابقات، وتوحيد المصـطلحات العلميّـة والفنيّـة والهندسـيّة، والإكثـار مـن المعاجم المتخصّصة.

– العمل الـدائم من قبل المجامع العربيّة، وهـي مشكورة لأنّهـا لـم تقصـر يومًـا، لكن المرحلة تتطلب السرعة في العمل لأجل رفد اللغـة العربيـة بمصـطلحات تـتلاءم وكـل مرحلة من مراحل التّطور العلمي والثّقافي.

– إغنـاء المكتبـة العربيّـة بـالمراجع العلميّـة العربيــة فــي مختلــف العلــوم للتّــدريس الجامعي.

– التّشـجيع علـى المطالعـة، وخصوصًـا الكتب الورقيّـة بـدعم الطباعـة، مـا يـنعكس أسعارًا مخفضة للكتب الأمر الّذي يساعد في امتلاكها وقراءتها من قبل الشّعب العربي وغيره من الشّعوب الإسلاميّة غير العربية، أو شعوب العالم قاطبة.

وأملنا في تحقيق حلم استعادة اللغة مكانتها المرموقة، وقد برهنت غير مرّة أنّها لغة الماضي المجيد، وأنّها حيّة تؤثر وتتأثر وتتفاعل، وأنّها متفوقة على كلّ لغات العالم بما فيها من خصائص ومرونة، وهي لغة الحاضر الّذي يستوعب الطروحات كلها، يفتح زوايا الحوار على رؤى متعددة تعيش وتحيا بحياة أهلها، وأنّها لغة المستقبل الّذي يلحق بركب النّمو والتّطور، فتستوعب المفردات كلها سواء الأجنبية الدّخيلة، أو المعرّبة، ولا تقصّر عن السّير في طريق الحضارة، وهي باقية وثابتة فهي اليوم وبحسب بعض الدراسات الحديثة "تدّرس لغة ثانية في كثير من بلدان العالم، إنّها لغة تنمو وتتسع وتزداد"(30)، إذ إن هناك إقبالًا على اللغة العربية، و"لأسباب... متفاوتة؛ فثمة ما هو سياسي وآخر ثقافي وثالث اقتصادي"(31)، ومن الدول التي اعتمدتها على سبيل المثال ماليزيا وكوريا وإسبانيا، ما يشير إلى أنّ لغتنا العربية كنز لا يعرف قيمته أبناؤنا وخصوصًا منهم الجيل الجديد إذ يقول: "إنّها لم تعد تلائم الروح العصرية، وذلك لطمس دورها في إغناء شعوبنا وترسيخ وحدتها"(32).

على الرغم من كل ما قيل في اللغة العربية فإنّها ستبقى حيويّة وقويّة، فهي لا تريد أن تطمس لغة، أو أن تطمُسُها لغة أخرى. فهل سيأتي اليوم الذي سيقتنع به أبناؤنا فيه أنه عليهم أن يساهموا في استعادة مجد لغتهم الذي خبا، ولكنه لم ينتهِ إلى الأبد؟

***

الهوامش

1- دكتوره في كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الجامعة اللبنانية.

2- ولد الشاعر **حليم بن ابراهيم جريس دموس** في مدينة زحلة (1888-1957).

3- محمد بن ابراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، دار ابن خُزيمة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2005، ص 125.

4- علي مهدي زيتون: النص الشعري المقاوم. دار العودة، بيروت، ط.3، 2013، ص107.

5- إمبرت إيكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه. تر. سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.1، 2007، ص83.

6- ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5، 2007، ص177.

7- صالح الهويدي: المناهج الحديثة أسئلة ومقاربات، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2016، ص159.

8- علي مهدي زيتون. م. س، ص107

9- محمد ابراهيم الحمد، م. س، ص 133.

10- م. ن، ص133.

11- محمد حسن عبد العزيز: العربية الفصحى المعاصرة قضايا ومشكلات، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011، ص8.

12- خديجة شهاب: أدب الأطفال حكاية جيل لجيل آخر، مجلة المنافذ الثقافية، بيروت، ع 20، ربيع 2017، ص 4.

13- محمد حسن عبد العزيز: م. س، ص8

14- خديجة شهاب: أدب الأطفال، م. س، ص5

15- عبد العزيز التويجري: اللغة العربية والعولمة، منشورات المنظمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2008، ص8.

16- م. ن.، ص 7

17- طارق حُديفة: اللغة العربية وتحديات العصر موقع خيام، 2013/9/25، زيارة الموقع في 2018/8/23، http://www.khiyam.com.

18- محمد الخضر حسين: القياس في اللغة العربية، المطبعة السلفيّة ومكتبتها، القاهرة، لا.ط، 1953، ص21.

19- زينب محمود عثمان: واقع اللغة العربية وسبل ترقيتها في وسائل الإعلام، المجلة التربوية، مجلة تربوية يصدرها المركز التربوي للبحوث والإنماء، ع56، آب 2014، ص50.

20- محمد قيراط: اللغة العربية وتحديات العولمة، مجلّة بوابة الشرق الإلكترونية، عدد 3439 الصادر في 2-1-2016

21- إلياس مطر: اللغة العربية المدرسية في لبنان من الكبوة إلى النهوض، المجلة التربيوية، مجلة تربوية ثقافية يصدرها المركز التربوي للبحوث والإنماء،ع56، آب 2014، ص65.

22- كامل فرحان صالح: اللغة العربية وتلقيها في العصر الرّقمي (في تحديات القراءة والكتابة والإعلام والتعلم)، كتاب المؤتمر الدولي: مسالك الكتابة وآفاق التلقي في اللغة والأدب والحضارة الذي عقد في المغرب 23-25 فبراير 2016، ص385.

23- عمر بو عرم: اللغة العربية واقعها التربوي ودور المركز التربوي في تعلّمها، المجلة التربوية مجلة تربوية يصدرها المركز التربوي للبحوث والإنماء، ع45، آذار 2010، ص46.

24- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط16، 2004م، ص348.

25- م. ن، ص348.

26- محمد حسن عبد العزيز: العربية الفصحى، م. س، ص10.

27- م. ن، ص7.

28- جعفر الجشي: أوهام التخلّف والتحذير من خطر السقوط، صحيفة اليوم، الإثنين في 21 يوليو العدد 2003/10993

29- كيفور ميناجيان: مجلّة اللسان العربي، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي جامعة الدول العربية الرباط، المغرب، ع 5، المجلد الخامس، 1967.

30- ممدوح خسارة: نوافذ اللغة العربية واقعها وأفاقها، مؤتمر اللغة العربية والتحديات المعاصرة الجمعة 25

ديسمبر 2014م، http://www.islamtoday.net/nawafeth تاريخ الزيارة 2018/10/27

31- وليد العناتي: تحديث العربية ومستقبلها في سوق لغات العالم، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، مجلة إسلامية، المعرفة مجلة فكرية فصلية يصدرها المعهد العالي للفكر الإسلامي، بيروت، السنة الخامسة عشر، ع57، 2009.

32-وفاء برّي: اللغة العربية واقع وآفاق، دار النهضة العربية، بيروت، ط.1، 2013، ص9.

***

- المصادر والمراجع

1- إلياس مطر: اللغة العربية المدرسية في لبنان من الكبوة إلى النهوض، المجلة التربيوية، مجلة تربوية ثقافية يصدرها المركز التربوي للبحوث والإنماء، ع56، آب 2014.

2- إمبرت إيكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه. تر. سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان، ط أولى، 2007.

3- جعفر الجشي: أوهام التخلّف والتحذير من خطر السقوط، صحيفة اليوم، الإثنين في 21 يوليو العدد 2003/10993

4- خديجة شهاب: أدب الأطفال حكاية جيل لجيل آخر، مجلة المنافذ الثقافية، ع 20، ربيع 2017.

5- زينب محمود عثمان: واقع اللغة العربية وسبل ترقيتها في وسائل الإعلام، المجلة التربوية، مجلة تربوية يصدرها المركز التربوي للبحوث والإنماء، ع56، آب 2014.

6- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط .16، 2004.

7- صالح الهويدي: المناهج الحديثة أسئلة ومقاربات، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق، ط.1، 2016.

8- طارق حُديفة: اللغة العربية وتحديات العصر موقع خيام، 2013/9/25، زيارة الموقع في 2018/8/23 .http://www.khiyam.com

9- عبد العزيز التويجري: اللغة العربية والعولمة، منشورات المنظمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2008.

10- علي مهدي زيتون: النص الشعري المقاوم. دار العودة، بيروت، ط.3، 2013.

11- عمر بو عرم: اللغة العربية واقعها التربوي ودور المركز التربوي في تعلّمها، المجلة التربوية مجلة تربوية يصدرها المركز التربوي للبحوث والإنماء، ع45، آذار 2010.

12- كامل فرحان صالح: اللغة العربية وتلقيها في العصر الرّقمي (في تحديات القراءة والكتابة والإعلام والتعلم)، كتاب المؤتمر الدولي: مسالك الكتابة وآفاق التلقي في اللغة والأدب والحضارة، الذي عقد في المغرب 23-25 فبراير 2016.

13- كيفور ميناجيان: مجلّة اللسان العربي، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي جامعة الدول العربية الرباط، المغرب، ع 5، المجلد الخامس 1967.

14- محمد الخضر حسين: القياس في اللغة العربية، المطبعة السلفيّة ومكتبتها، القاهرة، لا.ط، 1953.

15- محمد بن ابراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، دار ابن خُزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط.1، 2005.

16- محمد حسن عبد العزيز: العربية الفصحى المعاصرة قضايا ومشكلات، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2011.

17- محمد قيراط: اللغة العربية وتحديات العولمة، مجلّة بوابة الشرق الإلكترونية، عدد 3439، الصادر في 2-1-2016.

18- ممدوح خسارة: نوافذ اللغة العربية واقعها وأفاقها، مؤتمر اللغة العربية والتحديات المعاصرة، الجمعة 25 ديسمبر 2014.

19- ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.5، 2007.

20- وفاء برّي: اللغة العربية واقع وآفاق، دار النهضة العربية، بيروت، ط.1، 2013

21- وليد العناتي: تحديث العربية ومستقبلها في سوق لغات العالم المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، مجلة إسلامية، المعرفة مجلة فكرية فصلية يصدرها المعهد العالي للفكر الإسلامي، بيروت، السنة الخامسة عشر، عدد 57، 2009.

***